

أضواء البيان

@ 190 @ التساوي فيها فيكون الجمع لنوع شبه خال من العلة ودليلها . .
ثم ذكر رحمه الله لقياس الشبه الفاسد أمثلة أخرى في الآيات الدالة على أن الكفار كذبوا
الرسول بقياس الشبه حيث شبهوهم بالبشر ، وزعموا أن ذلك الشبه مانع من رسالتهم . كقوله
تعالى عن الكفار أنهم قالوا : { مَا زَرَأَكَ إِلَّا أَسْمًا مِّثْلُ مَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ } ، وقوله تعالى
عنهم : { مَا هَذَا إِلَّا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُتَّبِعٌ كَمَا تُتَّبَعُونَ مِنْهُ } .
إلى غير ذلك من الآيات . فالمشابهة بين الرسول وغيرهم في كون الجميع بشرا لا تقتضي
المساواة بينهم في انتقاء الرسالة عنهم جميعا ، ولما قالوا للرسول { مَا أَنْتُمْ إِلَّا لَسَانَ
عَرَبِيٍّ مُتَّبِعٌ } أجابوهم بقولهم : { إِنْ نَزَّحْنُ إِلَّا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُتَّبِعٌ } .
وقياس الكفار الرسول على سائر البشر في عدم الرسالة قياس ظاهر البطلان . لأن الواقع من التخصيص والتفضيل ،
وجعل بعض البشر شريفاً وبعضه دنيا وبعضه مرؤوساً وبعضه رئيساً وبعضه ملكاً . وبعضه
سوقاً يبطل هذا القياس . كما أشار إليه جواب الرسول المذكور آنفاً ، يشير إليه قوله
تعالى : { أَهْمُ يَقْسَمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بِكَ بِرَيْدِنَاهُمْ
مَنْعَ عَيْشَتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ
مِمَّا يَحْمَعُونَ } وهذه الأمثلة من قياس الشبه ليس فيها وصف مناسب بالذات ولا بالتبع
، فلذلك كانت باطلة . .

ثم ذكر ابن القيم رحمه الله : أن جميع الأمثال في القرآن كلها قياسات شبه صحيحة . لأن
حقيقة المثل تشبيه شيء بشيء في حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من
الآخر واعتبار أحدهما بالآخر . ثم سرد الأمثال القرآنية ذلك فيها واحداً واحداً ، وأطال
الكلام في ذلك فأجاد وأفاد . .
وقال في آخر كلامه : قالوا فهذا بعض ما اشتمل عليه القرآن من التمثيل والقياس ، والجمع
والفرق ، واعتبار العلل والمعاني وارتباطها بأحكامها تأثيراً واستدلالاً . قالوا : وقد
ضرب الله سبحانه الأمثال ، وصرفها قدراً وشرعاً ، ويقظة ومناماً ، ودل عباده على الاعتبار
بذلك . وعبورهم من الشيء إلى نظيره ، واستدلهم بالنظير على النظير . بل هذا أصل عبارة
الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة ، ونوع من أنواع الوحي . فإنها مبنية على القياس
والتمثيل ، واعتبار المعقول بالمحسوس . .

ألا ترى أن الثياب في التأويل كالقمص تدل على الديننا فما كان فيها من طول أو